بشارة الفرح والرجاء

« ها أنا أبشركم بفرح عظيم »

(لوقا٢:١٠)

للدكتور عزت زكى

في هذه الآية نجد أول عظة يتقدم بها أول مبشـر في تدبير العهد الجديد . ولم يكن هذا المبشر سوى ملاك من السماء وهو أنسب مبشر لمثل هذه البشارة العظيمة . ونحن ننتظر بشـارة أخرى حينما تدق سـاعة الأزل ، ويبوق الملاك بالبوق فيقوم أبناء العهد الجديد لملء الفرح في جدة الحياة .

ومفتاح هذه البشـارة هو الفرح . لقد سـقط الرعاة على وجوههم الى الأرض لأن بنود الناموس الرهيبة قد زادت في أذكاء الشـعور الطبيعي في الانسـان ـ شـعور الخوف والرعب أمام اعلانات الله . فالانسان خاطىء بطبيعته ، والناموس جاء ليكشف خطية الإنسان ، ولكن الكلمة الأولى في هذه البشارة قد وضعت حدا لكل هذه المخاوف .

وهذا الفرح الذي يقدمه لنا المخلص ، هو فرح عظيم ، لأنه فرح مقدس . أفراح الخطية كالبركان الثائر تستمد نيرانها من قلب الجحيم ، وتلهب كيان شاربها كما من نار . فحياة الخطية هي الجحيم بعينه . وأقسي هوة في الجحيم هي أن يكتشف الانسان سرورا في الخطية . ليحفظنا الرب من هذا الفرح غير المقدس .

واليوم يعيد المسـيحيون عيد ميلاد مخلص العالم . ولكن معظمهم ينحرفون الى ولائم العالم ، وأفراحه ، ومباهجه . فلا تتعجبوا حين تشاهدونهم لا يجدون الشبع والاكتفاء ، انهم يبحثون عن أطعمة من موائد الشـيطان يزينون بها الموائد التي يقدمونها اكراما للمسـيح . لا يكن هذا فيما بينكم أيها الأحباء . ان الفرح الذي يقدمه لنا انجيل المسـيح

ليس فرحا مسـروقا من أفراح أهل العالم ، ولكنه يزهو كالزهور الحية في حياتنا الروحية .

ولكن، لماذا كانت فرصة مجيء المسيح للعالم فرصة أفراح ؟

اولا ـ لأنها فرصة معاهدة ابدية بين الله والناس :

بين جوهر الألوهية ، وكمال الانسـانية .. بين ابن الله وابن الانسـان . لقد فصـلت الخطية بين الانسان وإلهه، ووضعت هوة رهيبة بين السماء والأرض . ولكن ابن الله بتجسـده اسـتطاع أن يعبر تلك الهوة ويأتي الى عالمنا . انها مقدمة ذبيحته الكفارية العتيدة أن تتم . ومنذ تلك اللحظة فصاعدا سيذكر الله ، حينما ينظر الى انسان منا ، أن ابنه الوحيد قد جاء في شبه الإنسان ، وكانسان وقف موقف الخاطىء وتحمل عقابه •

ثانيا : لأنه في هذه الحادثة المجيدة قد تمت النبوات.

فعلى أعتاب جنة عدن قدم الله لأبوينا الخاطئين هذا الوعد :« نسل المرأة يسحق رأس الحية ». وقد قال لأبي الأسـباط :« في نسـلك تتبارك جميع قبائل الأرض ». وهناك عشـرات الوعود التي تنبأ بها أنبياء الله في كل عصـر وسـجلتها كلمة الوحي . فلتفرح السـموات اذا لأن الرب قد ذكر عهوده للبشـر ، وبأحشـاء رحمته افتقدنا المشـرق من العلاء.

ثالثا : لأن السيد لم يأت ليتمم النبوات فقط .

بل جاء أيضا مخلصا للبشر « ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص ٠٠». لقد جاء الله مراراً في القديم ، ولكنه لم يأت كمخلص . لقد أتى الى سـدوم لأن صـراخ الشـر والمشـقة قد وصـل الى أذنيه .. جاء ليرفع يديه الى السـماء ، ويأمر فتنزل النيران المحرقة . ويل للعالم من الاله الغاضـب الديان . ان كان جبل سـيناء قد دخن والتهب

حينما أعلنت بنود الناموس ، فان الأرض ستذوب وتضمحل حينما يحل عقاب الله علي من يكسر الناموس . .

ولكن الله لم يأت في هذه المرة قاضيا وديانا ، ولا ملاك منتقما ، بل أتى كانسان رحيم .. لا ليتجسس على خطايانا بل ليمحوها . لا ليعاقب آثامنا ، بل ليصفح عنها . لا ليمد يديه بالنقمة ، بل ليقدم لنا النعمة . كان ممكنا أن يأتي الهنا للبشرية في روح النبي ايليا كان في إمكانه أن يأتي إلى الأرض وفي يمينه - سـيف نارى ملتهب ، ولكن طفل المذود أخلى مجده جانبا ، وأتى الى أرضنا في صورة ملاك العهد .

رابعا : لأن هذا المخلص هو المسيح.

ان مخلصنا ليس انسانا عاديا ، ولا ملاكا ، ولكنه المسيح الملك .. الممسوح من الله قبل كل الدهور لهذا الغرض المبارك . ان كل شعبه مسحاء ، ولكنه هو « المسيح » الوحيد ، لأن الرب قد مسحه بدهن الابتهاج أكثر من رفقائه . انه كنبى قد مسح بمسحة خاصة ليبشر بقوة الانجيل . وهو ككاهن نال مسحة الكهنوت ليقدم ذبيحة نفسه ، وهو كملك نال مسحة الملك - انه كاهن اعظم من ملكي صادق ، ونبي يسمو على موسي ، وملك ليس لملكه نهاية.

خامسا : ان مخلصنا ليس المسيح فقط . ولكنه المسيح الرب.

لاحظ معي أن كلمة « الرب » أو « كيريوس » في اللغة اليونانية هي المرادفة لكلمة « يهوه ». وهي نفس الكلمة التي وردت في نفس الأصـحاح مرارا : « واذا ملاك الرب قد ظهر لهم ، ومجد الرب أضـاء حولهم »،« حسـب ما هو مكتوب في ناموس الرب ». في هذه الآيات كلمة « الرب » تشـير الى « يهوه » العظيم .. آن مخلصـنا هو المسيح الرب .. يهوه بنفسه .. الله ظهر في الجسد .

يا له من سـر عجيب يملأ قلوبنا بالفرح والرجاء ! «ها أنا أبشـركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب ، انه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب » •

ان الاله الذي أغضـــبناه بأفعالنا الرديئة قد جاء في ملء مجده ، وفي أبدية رحمته ، ليفتدينا من آثامنا.

أيها الأخ ، لقد جاء يسوع مخلصا للعالم .. فهل أصبح مخلصا لك ؟.

منقولة مع التنسيق . الرب يستخدم هذا التأمل لمجد اسمه